صورة الآخر المحتل في القصائد الموجّهة إلى الأئمة في عصر الدولة اليعربية: قصيدتا الحبسي والمنتفقي أنموذجاً

د. خالد بن علي المعمري[1*]، د. علي بن سالم بن سيف المانعي[2]

[1]القسم اللغة العربية وآدابها، الكلية كلية التربية والآداب، الجامعة جامعة صحار، الدولة سلطنة عمان
ORCID# https://orcid.org/0009-0006-0250-938X
[2]القسم اللغة العربية وآدابها، الكلية كلية التربية والآداب، الجامعة جامعة صحار، الدولة سلطنة عمان
https://orcid.org/0009-0006-4936-5010

"The Image of the Occupying 'Other' in Poems Addressed to Imams of the Ya'rubid State: The Poems of Al-Habsi and Al-Muntafiqi as a Case Study"

Dr. Khalid Ali Almamari*[1], Dr. Ali Salim Saif Almanei[2]

[1] Affiliation Arabic language and literature , Department Faculty of Education and Arts , Institut , City sohar, State , Country oman Sohar University
[2] Affiliation Arabic language and literature , Department Faculty of Education and Arts , Institut Sohar

*المؤلف المراسل:
د. خالد بن على المعمري

*Corresponding author:
Dr. Khalid Ali Almamari

تاريخ الاستلام: 2026-04-08

تاريخ القبول: 2026-05-07

المعمري، خالد بن علي؛ المانعي، علي بن سالم بن سيف. (2026). صورة الآخر المحتل في القصائد الموجهة إلى الأئمة في عصر الدولة اليعربية: قصيدتا الحبسي والمنتفقي أنموذجا. *مجلة جامعة صحار للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 3*(2)، https://doi.org/10.69983/SUJHSS/32155

الملخص:
تتناول هذه الدراسة صورة الآخر المحتل في الشعر العماني في عصر الدولة اليعربية (1624م-1749م)، وتحديداً لدى شاعرين مهمين في ذلك العصر، وهما: راشد بن خميس الحبسي، ومحمد بن صالح المنتفقي. وسيقوم الباحثان بتحليل قصيدتين للشاعرين في هذا الموضوع، الأولى القصيدة البحرينية للشاعر الحبسي في مدح الإمام سلطان بن سيف اليعربي، والثانية قصيدة الشاعر الشيخ محمد بن صالح المنتفقي في رثاء الإمام سيف بن سلطان اليعربي. وسيعتمد الباحث على أدوات النقد الثقافي، مبيناً أوجه الصراع المتمثل، خطابياً، بين الذات والآخر في كلا النصين. ويركّز البحث -إلى جانب الأحداث- على الآخر وصفاً ونسقاً مضمراً، الأمر الذي ينبغي معه تحليل هذه الصورة، وتقديم علاقاتها مع الذات الشاعرة. **و**تتمحور هذه الدراسة حول جملة من الأهداف، نذكر منها: أولا: التعرف إلى ملابسات العصور التاريخية وفق رؤية نقدية حديثة تتمثل في دراسة الأنساق المضمرة للخطاب الشعري في فهم علاقة الذات والآخر. ثانياً: فهم رؤية الشعراء في عصر الدولة اليعربية إلى الآخر/ المحتل، وفهم طبيعة هذه الرؤية من زاوية الشاعر. ثالثاً: فهم العلاقة التاريخية والدينية والثقافية بين المحتل وصاحب الأرض من خلال هذا المنهج. وستبنى هذه الدراسة على محاور مختلفة، منها دراسة صورة المحتل/ الآخر في الشعر العماني في عصر الدولة اليعربية، وقراءة الصراع الحاصل بين الذات/ الشاعر والآخر/ المحتل في النصوص الشعرية، كما ستبين صورة الإمام عند الشعراء في تلك الفترة. قدمت الدراسة خلاصة لأهم ما جاء فيها النتائج.
الكلمات المفتاحية: الشعر العماني، الشعر في عصر اليعاربة، الآخر المحتل

Abstract:
This study examines the representation of the colonial Other in Omani poetry during the Ya'rubi State (1624–1749), focusing on two prominent poets: Rashid bin Khamis Al-Habsi and Muhammad bin Salih Al-Muntafiqi. It analyzes two poems: Al-Habsi's *Bahrainiyyah*, composed in praise of Imam Sultan bin Saif Al-Ya'rubi, and Al-Muntafiqi's elegy for Imam Saif bin Sultan Al-Ya'rubi. Moreover, the study investigates the discursive relationship between the Self and the Other, exploring both the explicit representation of the occupier and the implicit cultural patterns embedded within the poetic discourse. It also seeks to explore the poets' perceptions of the colonial Other and to analyze the historical, religious, and cultural dimensions of the relationship between the occupier and the indigenous community as reflected in poetry. The study is organized around three main themes: the image of the colonial Other in Ya'rubi-era Omani poetry, the conflict between the poetic Self and the occupier, and the literary portrayal of the Imam as a symbol of leadership and resistance. The study concludes with a synthesis of its principal findings, highlighting the role of poetry in expressing cultural identity, historical memory, and resistance to colonial domination.
Keywords: Omani poetry, Ya'aruba-period poetry, the colonizing Other, Cultural Criticism, Self and Other.

مقدمة:

تتحدّد الفترة الزمنية التي طرقتها الدراسة بكثير من الملابسات في التاريخ العُماني؛ ونعني بها على وجه الدقة خضوعُ أجزاء من عُمان إلى الاستعمار من قبل البرتغاليين لمدة تزيد عن المئة العام. ولم تنقطع محاولات دولة اليعاربة (1624- 1744م) من أجل استرداد الأراضي وتحرير البلاد من المُستعمِر، إلى أن تمَّ لها ذلك سنة 1650 للميلاد على يد الإمام سيف بن سلطان اليعربي .

واللافت أنّ المصادر التاريخية تُشيرُ إلى أنه بمجرد أن وطأت أقدام البرتغاليين عُمان في عام 1507م، ظهرت الصراعات في البلاد، وانتشر الانقسام والخلافات الداخلية، وهو ما مكّن المستعمِر من الاستمرار في الهيمنة على الساحل العماني .

وفي هذا السياق التاريخي المتوتّر، برز أمران مهمّان: أولهما، دور الأئمة في الصراع مع الآخر/ المستعمِر،

وثانيهما: الوضع السياسي الذي كانت عليه القبائل في عُمان؛ إذ شكّل لنا كلا الأمرين السابقين صورة للآخر/ المحتل نقلتها كتب الأدب في تلك الفترة(1).

ولا مراءَ في أنّ النص الأدبي الشعري الموجّه إلى الأئمة في ذلك العصر قد وفّر مادّة معرفية مهمة مكثّفة لصورة الآخر/ المحتل من زاوية رؤية صاحب الأرض، وتتجلّى صور الصراع الداخلي بين الذات/ الشاعر صاحب الأرض، والآخر/ المحتل في أساليب فنّية وأشكالٍ من التعبير الجمالي يُنشئها الشاعر منطلقاً من التزام ديني وهُويّاتي وارتباط مكاني بالأرض.

ويعدّ عصر اليعاربة من أزهى العصور التاريخية في عُمان في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية، فكان لا بدّ من ربط تلك المجالات بعضها ببعض، ونهتمّ في هذه الدراسة بإظهار الارتباط الوثيق بين الأئمة والناس؛ وما كان من احترامٍ وحُبٍّ متبادل بين الطرفين، وهو ما انعكس في غير موضع من النصوص الأدبية. وقد ترسَّخت هذه العلاقة بما عليه الناس من مقاومة الأئمة للبرتغاليين، وعملهم الدؤوب على طردهم من عُمان والمحيط الهنديّ، ومطاردتهم لهم في شرق أفريقيا مما جعل القصائد الموجهة إلى الأئمة تعكس كثيراً من الحبّ والتقدير لهم.

ولم تكتفِ القصائد الموجهة إلى الأئمة بتوطيد هذه العلاقة، بل أظهرت معها صورة واضحة للآخر/ المحتل في ضوء الصراع الدائر على الأرض، وهو ما يقتضي إلى دراسة النصوص الشعرية دراسة ثقافية شاملة تكشف تفاصيل الواقع، وخصائص تلك العلاقة التي جمعت بين الشاعر والأئمة من جهة، وصورة الآخر المحتلّ في قصائدهم من جهة أخرى .

وسيوظف الباحث في دراسته هذه أدوات تحليل الخطاب منطلقاً مما جاء به النقد الثقافي في قراءة النصوص وتحليلها. وستقتصر الدراسة هنا على نموذجين شعريين لشاعرين من شعراء الدولة اليعربية: يتمثّل النموذج الأول في (القصيدة البحرينية) للشاعر راشد بن خميس الحبسي(2)، التي كتبها في حرب الإمام سلطان بن سيف اليعربي (ت:1718م) للفرس في البحرين عام 1717م مادحاً إياه، متغنياً ببسالة جيشه، واصفاً شراسة المعركة. أما النموذج الثاني فتمثّله قصيدة الشيخ محمد بن صالح المنتفقي(3) التي كتبها في رثاء الإمام سيف بن سلطان اليعربي (قيد الأرض) (ت:1711م). وكلا النصين يتناول صورة وصفية للآخر/ المحتل يمكن الوقوف عليها وتحليل أدواتها الفنية ومضامين الخطاب الذي نسج تفاصيلها.

التمهيد

لم يكن هدف احتلال دي الفونسو البوكيرك[4] للسواحل العمانية عام 1507م سوى للسيطرة على الموانئ والطرق الاقتصادية في المنطقة؛ لذا قام بتوطيد سيطرته وتثبيت احتلاله بما قام به من أعمال وحشية تجاه السكان، وهو ما نشر الرعب والخوف في نفوس الناس لسنين طويلة، وأدى إلى تأخر مواجهته، لا سيما مع كثرة الخلافات الداخلية التي كانت تشقُّ القبائل العمانية في ذلك الوقت.

لقد سعى البرتغاليون إلى توسيع سيطرتهم على السواحل، والتحكم في الموانئ البحرية واستغلال الطرق التجارية. وشيئاً فشيئاً تبلورت صورة المحتل في المخيال العُماني الرافض للاستعمار بحكم ارتباطه بأرضه وهويّته الدينية

والاجتماعية التي تدعو إلى طرد المحتلّ. ولعل وضوح صورة المحتل السلبية في نظر الإنسان العماني تعود أساساً للأسباب الآتية:

أوّلا: إنّ الإنسان العُماني ملتزم دينياً، وتدفعه عقيدته إلى الجهاد وطرد المحتلّ.

ثانياً: إنَّ الأعمال الوحشية التي قام بها المحتلّ تجاه السكان قد أوغرت الصدور، وغذّت النقمة على المحتلّ، وألهبت النفوس للتصدّي له ومقاومته؛ فقد وصف أحد الباحثين وحشيّة المحتلّ بقوله: "أطلق البوكيرك لجنوده العنان منذ وصوله إلى الساحل العماني في استباحة المدن العمانية، واتبع سياسة شنيعة تتضمن التنكيل بالسكان والأهالي وتعذيبهم، ولم يسلم الأطفال والنساء من وحشية جنوده، علاوة على التمثيل بجثث الأسرى والموتى ونهب المدن، وتدميرها وحرق السفن والمراكب، بهدف إشاعة الرعب بين السكان، وتجريدهم من روح المقاومة، حتى أصبح الغزو البرتغالي لعمان من أكثر الأحداث الدموية والمؤلمة في تاريخها الكبير، نظير ما اقترفه الجنود البرتغاليون في حق أهلها". (الشعيلي، 2023).

ومنذ قيام دولة اليعاربة توحّدت الصفوف، وبدأت المواجهة الفعلية، والتفّ العمانيّون حول إمام واحد بدءاً بالإمام ناصر بن مرشد[5] وانتهاءً بآخر إمام يعربيّ قاتل البرتغاليين. وقد رافق المواجهةَ مع المحتلّ، بالإضافة إلى الالتفاف حول الإمام والمشاركة في الحروب تمجيدُ الأئمة ومدحُهم والتغنّي بانتصاراتهم المتتالية في مواجهة المحتل في نصوص شعرية عدّة، وهو ما نجده في أشعار تلك الفترة، التي قدّمت قصائد شعرية تُشيد بالدور الكبير للأئمة بوصفهم ذوي سلطتين: دينية ودنيوية قائمة على طرد المحتل، ولم ينته الأمر بطرد المحتلّ البرتغالي من الأراضي العمانية، حتى ظهرت صراعات في المنطقة بين جبهات مختلفة كالعمانيين وفلول البرتغاليين والفرس، وكان لا بدّ للإمام من مواجهة كل ذلك، الأمر الذي دفع اليعاربة إلى مطاردة البرتغاليين في المحيط الهندي وصولاً إلى شرق أفريقيا، وقمع الجبهات الأخرى، والدخول معها في حروب متكررة كحروبهم مع الفرس في منطقة الخليج، ولعل أشهر تلك المعارك معركة البحرين (1717م) كما سيأتي بيانُه. وقد سجّل الشعر العمانيّ تلك الملاحم التي يمكن من خلالها أن نستقرئ خصائص صورة الآخر التي تشكّلت في الشعر العماني في عصر الدولة اليعربية من زاوية رؤية الذات الشعرية.

مفهوم الآخر

يمكن النظر إلى مصطلح الآخر The Other من زاويتين اثنتين ننطلق منهما في فهم هذا المصطلح، الأولى تَعُدّ الآخر مقابلاً للذات أو الأنا، وتنتج عنها صورة تقابلية بين الطرفين، صورة تتناول الذات منطلقة منها إلى فهم الآخر فهماً يؤدي إلى تشكّلات هوياتية.

أما الزاوية الثانية، فتنهض على ارتباط الآخر بثنائية الهُوية والاختلاف، وهو ما ينتج عنه تقابل الصورتين السابقتين بين الذات والآخر، وتتحدَّدُ مفاهيم الهويّة بناء على اختلاف المعطيات الثقافية بين كلّ من الذات والآخر. وهكذا تتجلّى الهُوية "في جزء منها كاختلاف عن الآخر: أنا ذكر لأنني لست أنثى، أنا رجل سوي جنسياً لأنني لست مثلياً، أنا أبيض لأنني لست أسود وهكذا دواليك...". (باركر، 2018، ص53)

وفي السياق نفسه، ذهب مؤلفا كتاب (دليل الناقد الأدبي) في تعريف مصطلح الآخر بقولهما: "الآخر في أكثر معانيه شيوعاً يعني شخصاً آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع ذاك الشخص أو المجموعة

أستطيع أو نستطيع تحديد اختلافي أو اختلافنا عنها، وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التحديد على التقليل من قيمة الآخر وإعلاء قيمة الذات أو الهوية". (الرويلي، والبازعي، 2017، ص23)

ويمكن أن يتحدّد المصطلح بناء على العلاقات الثنائية المتضادة؛ في مستوى العلاقات بين الجنسين، "يتحدّد الآخر على المستوى الجنوسي (الجندر Gender) ليصير الذكر آخر الأنثى والعكس، كما يمكن للآخر أن يتحدد على المستوى الاجتماعي ليصير الآخر من يختلف لونه أو سحنته أو دينه أو اهتماماته الجنسية: الأسود آخر الأبيض، والمسيحي آخر المسلم". (البازعي، 2011، ص36)

ويُبنى مفهوم الهوية من علاقاته القائمة على طرفين محدّدين هما الأنا والآخر المتشكّلة ضمن دوائر الصراع والاختلاف الثقافي؛ لذا يرى علّوش أن مفهوم الغيرية يُبنى متعارضاً مع مفهوم الغيرية. (علوش، 2019، ص345). ويرى محمد عابد الجابري أنّ الأنا لا يتحدّد إلا عبر الآخر، (الجابري، 2012، ص90) لذا تبرز القيمة الوظيفية في تحليل صورتي الأنا في صراعه مع الآخر، لأن الصورتين مكمّلتان لبعضهما في فهم طبيعة الصراع وتحديد أشكاله.

وفي الموضوع ذاته، فإنّ هناك "علاقة جدلية" بين مفهومي الأنا والآخر، (هرهار، 2020، ص59) فهي علاقة تاريخية تتشكّل من بناء الأنا والنهوض بها من منظور الفرد أو الجماعة، مع إقصاء أو تهميش للآخر ضمن طبيعة هذا الصراع؛ لذا فإن تناول الأنا والآخر في النص الشعري يُقدّم لنا كشفاً للصراع التاريخي بين الطرفين من جهة، ويوضّح مدى التنوع والاختلاف الثقافي الذي نقرأ من خلاله تنوع الثقافات وأشكال الحضارة والثقافة العالمية.

صورة الآخر عند راشد الحبسي في القصيدة البحرينية

كتب راشد بن خميس الحبسي قصيدته البحرينية مادحاً الإمام سلطان بن سيف اليعربي لتخليصه البحرين من الفرس عام 1129هـ/ 1717م. (البراشدي، 2014) وتقوم القصيدة على وصف المعركة الدائرة بين الطرفين: جيش الإمام من جهة والفرس من جهة أخرى. وتُقدّم القصيدة وصفاً لانتصار جيش الإمام وهزيمة الطرف الآخر معددة أوصافهم حال الهزيمة.

تنطلق صورة الآخر في القصيدة من كونها صورة مقابلة للذات التي يمثّلها الإمام وجيشه، فيقيم الشاعر في قصيدته صورتين متضادتين: الأولى صورة نابعة من ذاتٍ ترى لها الشرعية في المنطقة وتدعم السلم والاستقرار واصفاً قوة جيش الإمام المدافع وبسالته، مستخدماً ألفاظاً مثل: (فيلق عظيم، باعه طويل في الحرب مقابل أعمار العداة قصير، وقوة ضربهم لأعناق العدا، وأنهم أبطال تتزاحم في المعارك، ويثيرون الغبار في ساح القتال)، وجميعها أوصاف تمجيد، ومدح وثناء، مقابل الصورة التي رسمتها القصيدة للآخر، وهي صورة مهينة مقارنة بالصورة السابقة للذات، إذ يصفهم بأنهم: (أصابهم عقاب أليم بفعلهم، وأصابتهم النقمة، وقد ضُربت أعناقهم بمناصل، وخربت ديارهم، وجُرّوا على أذقانهم وقد أيموا نساءهم، ودماؤهم هدر، وخساسة طبعهم، وأصابتهم الذلة) وهو ما يبيّنه قوله: (الحبسي، 1982، ص60، السالمي،2000، ص119)

ألا فانظرُوا كيف الأعاجمُ صاروُا غَدَوْا شجراتٍ ما لهنَّ قرارُ
طغَوْا وبغَوْا في الأرض حتى أصابهم عقابٌ أليمٌ مُهلكٌ وتبارُ
فحلَّتْ بهم مِنْ مالكِ الأمرِ نقمةٌ وسوءُ عذابٍ دائمٌ ودمارُ
وقد ضُربتْ أعناقُهم بمناصلٍ كما خربتْ دورٌ لهم وديارُ
فصاروا بها رُغْمَ الأنوف كأنّهم سَمَاحَجُ وحشٍ عاقهن عِثار
وقد شربوا كأساً من الحتف والردى فجرّوا على الأذقان وهي تُدار
وجرّوا على أذقانهم بعد ما جَرَوا بخَيلٍ.. وقد جَرّوا الذيول وحاروا
وقد حملتهم حين ما عاينوا الظبى مطايا المنايا للبوار فباروا
ليعلم ملك العجم أنّ جيوشه إلى الموت قد يُسرى بهم ويُساروا
فدوّخهم بالمشرفية فيلقٌ عظيمٌ.. لديه المعظمات صغار
وقد أَيموا من بعد ذلك نسوة عراهنّ مع سوء الحياة صغار
تُباكي عليهم بالنّهار وبالدّجى وأدمعها عند البكاء غزار
كأنّهم لم يعلموا أنّ باعنا طويلٌ.. وأعمار العداة قصار
دماؤهم هدر ولكنّ ضربنا لأعناقهم يوم النّزال جبار
وما ذاك إلا من خساسة طبعهم يقولون أضغان الرّجال قمار

تقوم الصورتان السابقتان على تمجيد الذات وتعظيمها والرفع من شأنها، والحطّ من الآخر كونه مخالفاً لسياسة الإمام، ومعارضاً لقوانين المنطقة، وفي هذا السياق يحاول الشاعر الإعلاء من قدر الإمام وجيشه حين وصفهم بالقوة رغم ضخامة جيش الآخر وكثرة عتاده، ويشبّه العدو بالأسد: (كانوا بها أسداً)، لا بغرض مدحهم، ولكن بقصد الإعلاء من شأن النصر الذي حقّقه الإمام وجيشه.

تقوم صورة الآخر التي صنعها الشاعر في قصيدته على الرفض والبغض وذلك استناداً إلى البعد الديني القائم على طاعة وليّ الأمر. ولمّا كان الفرس قد خالفوا هذا العرف وخرجوا عن طاعة الإمام، فإن الشاعر خصّهم بسيلٍ من الألفاظ التي تحطّ من شأنهم وتزري بهم أيّما إزراء، كوصفهم بـ(خساسة طبعهم) مثلا.

وانسجاماً مع علوّ مقام الإمام ودوره المهم في دحر العدو بتسييره الجيش للقتال؛ فقد خصّه الشاعر بمدائح تتناسب وهذا الدور وذاك المقام. يقول الشاعر: (الحبسي، 1982، السالمي، 2000)

وقد صارت البحرين فى ملك سيّد كريم زكا فرع له ونجار
سلالة سيف نجل سلطان الذي لنا أَمِنَتْ سوح به وقفار
هنيئاً إمام المسلمين ببلدة بكم طاب فيها مفخر وفخار
لقد كان فيها للأعاجم غبطة فرَمَوا مطايا البين منها وساروا
نَعَمْ وسُقُوا من منهل الحتف شربة بها من عقار الموبقات عقار
فولّوكمُ أدبارهم وتبلّدُوا وقد وقفوا دون المحيص وحاروا
وكانوا بها أسداً فلما غزوتهمْ غَدَوْا بقراً عونا لهنّ خوار
رأوا منكم ما لا يرى بخت نصّر وما لا يراه مصدع وقدار
فلم يبق فيها للأعاجم ملجأٌ ولم يبق فيها لليهود حمار
ولم يبق إلا من تراه مجدّلا قتيلاً ومن بين الرّجال يجار
فلم يحمهم من أسيف الأسد قلعة ولمّا يصنهم معقل وجدار
وما ضرّنا من غير موت كرامنا لأنّهم عدل بها وخيار

وقد تخلّلت القصيدة دعواتٍ خاصة للإمام، ورثاءٌ لبعض قادة جيشه، ومردّ ذلك إلى عدد من الأسباب منها:

أولاً: انتصاره على الفرس في المعركة.

ثانياً: تحرير البحرين وطرده للفرس منها، وعودة أمرها إلى يد الإمام.

ثالثاً: إظهار الطاعة لولي الأمر، وهو جانب ديني يفرضه الدين.

في هذه القصيدة تتّضح الصورة المتضادّة لقوة الذات وانكسار الآخر؛ فالشاعر يُعلي من قيمة الذات: الإمام وجيشه وأهل عُمان لأنهم استطاعوا تحرير البحرين، وطرد المحتلّ منها، في مقابل الحَطّ من شأن الآخر الذي سقط، برغم قوّته وسيطرته على البحرين، أمام قوة الإمام وجيشه.

تبدو صورة الآخر نابعة في القصيدة من واقع العداء المتولد بين الطرفين، وهو عداء ذو أساس هوياتيّ وثقافيّ واجتماعيّ، ومنه توالدت دلالات الهوية الثقافية والاجتماعية والمكانية وآثارها، وتترجم عنها صور الاعتزاز والانتماء للمكان ورفض الآخر/ المحتل المغتصب.

صورة الآخر في قصيدة المنتفقي:

يقدّم الشيخ محمد بن صالح المنتفقي قصيدته راثياً بها الإمام سيف بن سلطان اليعربيّ (قيد الأرض)، مفتتحاً القصيدة بالوعظ الديني والاعتبار، مُذكّراً الناس بحتميّة الرحيل عن الحياة الفانية، وقد أدار مطلعها على تسعة عشر بيتاً شعرياً استهلّ بها القصيدة قبل تخلّصه إلى غرض الرثاء: (المنتفقي، 2015، ص55. السالمي، 2000، ص109)

الرّبُّ باقٍ والخلائق فانيهْ	كرهت نفوسهم الفنا أو راضيه
الله عزّ وجلّ يفعل ما يشا	منه القضايا نافذات ماضيه
سبحانه لا جور في أحكامه	بل كلّها بالعدل فينا جاريه
إنّ المقدّر كائن والصّبر من	شأن الموفّق إن دهته داهيه
وصروف هذا الدّهر شتّى والفتى	خوف الشّماتة ما يفوه بخافيه
جرّبت أيّامي التي قد عشتها	ورأيت كيف فعالها أيّاميه
وسمعت من أمم وما فعلت بهم	دنياهم أهل العصور الخاليه
كم شتّتت كم ثبتت كم فتّتت	كم بدّدت جمعا بأبعد ناحيه
كم غيّبت من أمّة كم شيّبت	من لمّة غاراتها المتماديه
نزلت مصائبها عليَّ فشيَّبت	قلبي وراسي ما كفاها رأسيه

وفي قسم الرثاء من هذه القصيدة انطلق المنتفقي بنَفَس دينيّ رافض للاحتلال، الواجب دحره وقتاله امتثالاً لأمر الله تعالى بوجوب الجهاد. ثم تلاه غرض الرثاء ليعدّد الشاعر من خلاله إنجازات الإمام في الجهاد وقتال العدوّ، وليظهر لنا أوصاف الآخر/ المحتل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين الذي خرج عليه، وهنا نجد الشاعر يستخدم ألفاظاً مثل: (النصارى، وأولاد الأصفر، والفرس، والصابية، وانقلبوا خاسئين، وأصابهم نفخ الوباء، ووصف جثثهم بجثث الكلاب، ووجوهم سمينة، وعاب لحاهم المحلقة [وهو جانب ديني]، ويا رفضة الرفض الخسيس الخاسية، ووصف مشيتهم بالتبختر دلالة على التكبر في الأرض). يقول الشاعر: (المنتفقي، 2015)

بعد انهدام الرّكن ركن الدين قر ... ن المسلمين مهين من هو طاغيه
من أكمد الحساد لما ساد وانـ ... ـسدّ الفساد وقاد روساً عاتيه
نور الرعية سورها سمسورها ... وسرورها وأبو الجنود الناميه
مخدومنا سيف بن سلطان الإما ... م اليعربيّ بن الجدود الساميه
ذاك الهصور الشهم فرّاس العدى ... ذاك الجسور على الأمور العاليه
فُتحت على يده فتوحٌ لا تسل ... قد عظمها قد أعجزت لحسابيه
فسل النصارى ما رأوا في برّهم ... والبحر من تلك الجيوش الغاشيه
كم أحرقوا كم أغرقوا من مرّة ... كم ذُوّقوا ضربا يهدُّ الناصيه
كم مزّقوا بِدَداً فشِبْهُهُم على ... ضأن غشت فيها سباع ضاريه
ما بالكم أولاد الاصفر صفّرت ... جمرُ الوطيس وجوهَكم يا صابيه
ثم انقلبتم خاسئين ومسّكم ... نفخ الوبا فبطونكم كالخابيه
وانْشِدْ مراكبه التي صدمت مرا ... كبهم وأهدتها بنادق حاميه
الملك ثمّ الفلك ثم الناصري ... مع كعب رأس كالجبال الراسيه
كم خرّقت كم غرّقت كم حرّقت ... من برشة حربية أو باغيه
كم غادرت جثث الكلاب مُجافة ... أو جيفة في البحر تذهب طافيه
الفرس سلهم حين فرّوا بعدما ... نظروا فوارسهم أتتهم عانيه
فزعوا من الأبصال والأهوال فانـ ... ـقلبت وجوههم السمينة ذاويه
لم لا تلاقوا يا محلّقة اللحى ... يا رفضة الرفض الخسيس الخاسيه
أين التبختر كالعروس ومشيكم ... مشي المطيطا في بلاد خاليه
لو لم يفرّ الفرس كانوا فُرّسوا ... لكنهم بصروه ناراً واريه
أها عليها سطوة آها عليـ ... ـها قوة تَركت قواهم واهيه
آها على تلك الرياسة والسيا ... سة والفراسة والخصال الزاكيه
حزني عليه مؤلم وملازم ... بل مسقم ومهدّم أركانيه
ومجنّبٌ عيني المنام ومتعب ... قلبي المحبّ وملهب أحشائيه
والمسلمون كبيرهم وصغيرهم ... في ذي المصيبة كلهم شركائيه
فلهم ولي حسن العزا في فقده ... ولولده وأخيه ثم الحاشيه
الله يجبرهم ويعظم أجرهم ... وينيلهم صبر القلوب الراضيه

ولمّا كان المنتفقي شيخ علمٍ ودين، فقد حضر في قصائده معجمٌ دينيّ وصور، ولم تخلُ مجازاتها من مرجعية دينية؛ لذلك كان من البداهة أن تركّز على صورة الآخر وهويّته أساساً في بُعدها الديني في غير موضع من القصيدة. وكانت على النحو الآتي:

- الوصف المخالف للدين: (النصارى، والفرس، والصابية).
- الوصف الجسدي: (أولاد الأصفر، محلقة اللحى، التبختر).
- الأوصاف المهينة التي تحط من شأنهم: (انقلبوا خاسئين، نفخ الوبا، جثث الكلاب، الوجوه السمينة، رفضة الرفض الخسيس الخاسية).

وفي مقابل هذا الوصف للآخر تبرز صورة الذات المتمثلة في الإمام مشبعة بالاعتزاز بجيشه في المعركة، وبإعلاء القيم الدينية والأخلاقية التي يتحلّى بها، واصفاً جيش الإمام والانتصار على العدو، وممجداً دوره في نهضة البلاد، ولا يقف الشاعر عند مدح الإمام وحده، بل يتعدّاه إلى ذكر مآثر أجداده من اليعاربة، والدعاء لابنه من بعده.
وبناء على ما تقدّم، فإن صورة الآخر عند المنتفقي تتحدّد بكونه جزءاً دخيلاً على المكان وجب طرده وقتاله؛ لذلك نجده يدفع بالاختلاف إلى أقصاه، فلا يجد أفضل من البعد الدينيّ لتعميق ذاك الاختلاف، تبريراً لقتاله وطرده، وبثّاً للحماس في نفوس جيش الإمام.

الآخر في مرآة الشاعرين

اتّفق كلا الشاعرين في استحضار صورة الآخر في قصيدتيهما على تقديم صورة ناصعة ومعبّرة للذات/ الإمام؛ إذ تُقدّم القصيدتان وصفاً دلالياً موجّهاً إلى الإمام وجيشه، قائماً على القوة والشجاعة والكرم وطرد المحتل وإعلاء شعائر الدين، وهو ما قدّم للقارئ لمحة واضحةً عن الأئمة في العصور السابقة ودورهم في طرد العدو وقيادة الدولة.
كمل تُمثّل صورة الإمامين لدى الشاعرين قيمة معنوية في ارتباطها بالإنسان في عُمان، فهي توضّح العلاقة الكبيرة بين الطرفين سواء في الحرب أو في السلم.
وقدّم الشاعران صورة مهينة في إقصاء الآخر/ المحتلّ كونه دخيلاً ومحتلاً بالإضافة إلى خروجه عن ملة الإسلام.
وهنا يطّرد الصراع بين الذات والآخر كما صوّره الشاعران في قصيدتيهما برفض الآخر وإعلاء قيمة الذات، فناولت القصائد الموجّهة إلى الأئمة دلالات قائمة على:

أولاً: الرفض وإقصاء الآخر.
ثانياً: الانتماء الديني والهُويّاتي بالتقرّب من الإمام والتغني بمنجزاته.
ثالثاً: دلالات تصويرية اهتمّ بها النص الشعري، وعبّر عنها الشاعران في رسم الصورة المتقابلة للطرفين، التي أظهرت مدى الصراع الكبير بين الذات والآخر.

الخاتمة

نخلص في خاتمة هذه المقاربة إلى جملة من الاستنتاجات والخلاصات، نجملها في ما يأتي:

- أظهرت القصائد الموجهة إلى الإمام في عصر دولة اليعاربة ارتباطاً قوياً بين الإمام والناس من جهة، كما قدّمت صورة للعلاقة المنقطعة بين الذات والآخر المحتلّ.
- أظهرت قصيدتا الحبسي والمنتفقي صورة للآخر تقوم على شنّ الحروب وشهوة القتل والعدوان وإثارة المعارك، وهو ما اتضح في الحروب التي خاضتها جيوش الأئمة مع المحتلّ.
- تجلّت صورة الآخر في القصيدة البحرينيّة للحبسي مشبعةً بما بين الطرفين من كراهية وعداء من منطلقات هويّاتيّة وثقافية.
- برزت صورة الآخر عند الشيخ المنتفقي مؤسّسة على البعد الديني؛ إذ رأى في المحتلّ عدوّاً مغتصباً للأرض مهدّداً للدين وجب قتالُه وطردُه.
- في مقابل صورة الآخر المحتلّ أعلى الحبسي والمنتفقي من قيمة الذات/ الإمام وجيشه راسمَيْنِ صورة نورانية مثلى في مواجهة العدوّ.
- نوّع الحبسي والمنتفقي في رسم صورة الآخر/ المحتلّ بين الوصف الجسديّ والوصف المرتبط بالدين والوصف المهين الشّائن.

الإحالات والهوامش:

1. تهمني قراءة صورة الآخر من خلال النصوص الشعرية التي وردت إلينا من ذلك العصر؛ إذ تقدّم لنا صورة واضحة في التعامل مع الآخر وفق منطلقات أيديولوجية وثقافية لا تتوافر كتب التاريخ التي ركّزت على الجوانب التاريخية والأحداث.
2. راشد بن خميس الحبسي، من شعراء الدولة اليعربية في عُمان، ولد في قرية عين صارخ بالظاهرة سنة (1089هـ)، حُرم من نعمة البصر وهو صغير، مدح أئمة الدولة اليعربية؛ إذ كانت علاقته بهم قوية. انظر (الصقلاوي، 1992، ص131)
3. الشيخ محمد بن صالح المنتفقي، "ولد في البصرة، وأخذ العلم عن والده وعن كثير من علماء بلده، وارتحل في طلب العلم؛ فأخذ عن علماء الحرمين والإحساء ولنجة وغيرها". (المنتفقي، 2015)، تنقل بين البلدان حتى استقر في كمزار بمحافظة مسندم. توفي كما يقول محقق ديوانه: "في حدود سنة (1145هـ/ 1732م)على جهة التقريب، وكانت وفاته في بلدة كمزار من رؤوس الجبال، وبها دُفن، رحمة الله عليه". (المنتفقي، 2015)
4. البوكيرك: قائد برتغالي اجتاحت سفنه الشواطئ العمانية، ونكّل بأهلها قتلاً وحرقاً وتمثيلاً.
5. الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، مؤسس الدولة اليعربية وأول حكامها، حكم في الفترة الممتدة بين (1624-1649م).

المراجع والمصادر

المراجع العربية

باركر، كريس. (2018). معجم الدراسات الثقافية. ط1، ترجمة: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة.

البازعي، سعد. (2011). الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف. ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت.

الجابري، محمد عابد. (2012). مسألة الهوية.. العروبة والإسلام.. والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الحبسي، راشد بن خميس. (1982). ديوان الحبسي. تحقيق: عبدالعليم عيسى، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

الرويلي، ميجان. والبازعي، سعد. (2017). دليل الناقد الأدبي. ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت.

السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد. (2000) تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج2، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عمان.

الشعيلي، محمد بن حمد. (2023). أساليب البرتغاليين في مواجهة المقاومة العمانية قبل ظهور دولة اليعاربة 1624-1507م. حوليات آداب عين شمس، مج 51، ص72-98

الصقلاوي، سعيد. (1992). شعراء عُمانيون. ط1، حقوق الطبع للمؤلف.

علّوش، سعيد. (2019). معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. ط1. دار الكتاب الجديد، ليبيا.

المنتفقي، محمد بن صالح. (2015). ديوان شاعر الصير. ط1، جمع وتحقيق: عبدالله بن قاسم القاسمي، نادي تراث الإمارات، أبوظبي.

الهاشمي، سعيد بن محمد بن سعيد والبراشدي، موسى بن سالم بن حمد. (2014). بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في عُمان كما صوّرها الشاعر الحبسي (1089هـ/ 1150هـ- 1678م/1737م). مداولات اللقاء العلمي السنوي الخامس عشر دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، الكويت، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ص189- 227

هرهار، عبدالله. (2020). التنوع الثقافي: قضايا وإشكالات، أفريقيا الشرق، المغرب.

رومنة المراجع

Parker, Chris. (2018). Dictionary of Cultural Studies. 1st ed., translated by: Gamal Belkassem, Dar Ru'ya, Cairo.

Al-Bazai, Saad. (2011). Cultural Difference and the Culture of Difference. 2nd ed., Arab Cultural Center, Casablanca - Beirut.

Al-Jabri, M. A. (2012). *The Question of Identity: Arabism, Islam, and the West* (4th ed.). Center for Arab Unity Studies.

Al-Habsi, Rashid bin Khamis. (1982). Diwan Al-Habsi. Edited by: Abdelalim Issa, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman.

Al-Ruwaili, Mejan. and Al-Bazzi, Saad. (2017). The Literary Critic's Guide. 6th edition, Arab Cultural Center, Casablanca-Beirut.

Al-Salmi, Nūr al-Dīn ʿAbdullāh bin Humayd. (2000) Tuhfat al-Aʿyān bi-Sīrat Ahl ʿUmān, Vol. 2, Al-Imam Nūr al-Dīn Al-Salmi Library, Sultanate of Oman.

Al-Shaaili, Muhammad bin Hamad. (2023). The Portuguese Methods in Confronting Omani Resistance before the Emergence of the Ya'aruba State 1507-1624 AD. Ain Shams Humanities Journal, Vol. 51, pp. 72-98

Al-Siqalawi, Saeed. (1992). Omani Poets. 1st edition, copyright of the author.

Aloush, Saeed. (2019). Dictionary of Contemporary Literary Criticism Terms (1st ed.). Dar Al-Kitab Al-Jadeed.

Al-Muntafiqi, Muhammad ibn Salih. (2015). Diwan of the Poet of Al-Sayr. 1st ed., collected and edited by: Abdullah ibn Qasim Al-Qasemi, Emirates Heritage Club, Abu Dhabi.

Al-Hashimi, Saeed bin Mohammed bin Saeed, and Al-Barashdi, Mousa bin Salem bin Hamad. (2014). Some aspects of social life in Oman as depicted by the Habsi poet (1089 AH / 1150 AH - 1678 AD / 1737 AD). Proceedings of the Fifteenth Annual Scientific Meeting of the Cooperation Council for the Arab States of the Gulf through the Ages, Kuwait, Association of History and Archaeology for the Cooperation Council for the Arab States of the Gulf, pp. 189-227

Harhar, A. (2020). *Cultural Diversity: Issues and Problems*. Afrique Orient.